International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA
Volume 5, Issue 1, 2023

Historical and geographical sources A source of the study of the cities of the edges of the desert (Al-Ahsa model)

Dr. Qais Fathi Ahmed

Received: 7/1/2023
Revised: 26/2/2023
Accepted: 19/3/2023
Published online: 23/3/2023

* *Corresponding author:*
Email:
Ahmed @gmail.com

https://doi.org/10.65811/518

Citation: *Ahmed, Q. (2023). Historical and geographical sources A source of the study of the cities of the edges of the desert (Al-Ahsa model). International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 5(1).*

©2023 The Author(s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license. https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences: Issn Online 2706-8455

Historical, geographical, and travel sources are crucial for historical research, providing detailed information about desert cities. These sources reveal the development of such cities, their living conditions, and highlight the importance of their geographical location. This study focuses on Al-Ahsa as a model, discussing its name and significance, establishment, location, and role during Hajj seasons, as well as its climatic and urban characteristics.

Keywords: Desert, historical sources.

التباين المكاني لملوحة التربة في الجزء الجنوبي للسهل الرسوبي العراقي وأثرها على الإنتاج الزراعي

د. قيس فتحي احمد

الملخص: تُعد المصادر التاريخية والجغرافية وروايات الرحلات من أهم مصادر البحث التاريخي لما تقدمه من معلومات دقيقة عن المدن الصحراوية. تكشف هذه المصادر عن تطور هذه المدن وظروف الحياة فيها، وتبرز أهمية موقعها الجغرافي. ركّزت الدراسة على مدينة الأحساء كنموذج، مستعرضًا اسمها وأهميته، تأسيسها، موقعها، ودورها خلال مواسم الحج، بالإضافة إلى خصائصها المناخية والحضرية.

الكلمات الدالة: الصحراء، المصادر التاريخية.

Abstract

المقدمة

تعد هذه الدارسة محاولة لتسليط الضوء على أهمية مدن حافة الصحراء وتبيان ما لها من دور مهم من خلال استغلال موقعها الجغرافي وجعله نقطة جذب بدلاً من كونه عامل طرد بحكم البيئة القاسية التي عرفت عنها لمجاورتها الصحراء.

و تأتي أهمية الموضوع في ابراز صورة حية عن طبيعة تكوين تلك المدن واساليب الحياة فيها وأهمية تاريخية وكونها تعد مراكز ومحطات تتوقف عندها القوافل التجارية وقوافل الحج حيث تعمل على تموينها بما تحتاجه في وسط بيئة تكاد تعدم بها مصادر الحياة الأساسية من ماء وغذاء للإنسان والحيوان معاً.

أسباب اختيار البحث:

يعود سبب اختيار هذا الموضوع للبحث لتبيان اهمية مدن حافة الصحراء ودورها التاريخي.

تسليط الضوء على هذا الموضوع الذي يحتاج إلى دراسات معمَّقة، لتعريف القارئ بتاريخ تلك المدن وعوامل نشأتها واهمية التعريف بها .

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار اهمية مدن حافة الصحراء ودورها التاريخي ومحاولة التعريف بها وذكر اهميتها من حيث موقعها وبطبيعتها الجغرافية والسكانية. وقد اعتماد الباحث على المنهج التاريخي في البحث والتقصي عن المعلومة ومحاولة استقراء لما توافر من مادة تاريخية تناولت تلك المدينة من خلال الاستعراض التاريخي لها .

اولاً: التسمية :

اشارة المصادر اللغوية الى اصل تسمية الأحساء وتناولتها بالتفسير وتبيان معاني ما تعني ودلالاتها، فذكر ان كلمة الأحساء: جمع حسي، والحسي: غلظ (اي الصلب) من الأرض التي فوقها الرمل حيث يجتمع فيها ماء المطر في قاعه، فكلما نزحت منه دلوا جمعة مثله ( ) وقيل لرجل كان لصا، ثم أصاب سلطانا:

جرى لك بالأحساء، بعد بؤسها ... غداة القشيريين بالملك تغلب

عليك بضرب الناس ما دمت واليا ... كما كنت في دهر الملصة تضرب ( ) وما ذلك الا تعبير عن قيمة وجود الماء في هذه المنطقة الصحراوية التي يعدم بها حتى وصف وجوده بالكنز الثمين بالنسبة للرحالة واصحاب القوافل المارة بهذا الطريق ، لذا وصف كأنه كنز أخذا من السلطان لندرته.

ويقال ايضاً: احتسينا حسيا أي أنبطنا ماء حسي، والحسي الرمل المتراكم أسفله ارض صلبة، فإذا امطرت فوق الرمل نشف ماء المطر، فإذا انتهى إلى الاراض الصلبة الذي أسفله أمسك الماء ومنع الرمل حر الشمس أن ينشف الماء فإذا طلب الماء نبث وجه الرمل عنه فنبع باردا عذبا ( ) وهذا اورده ابو الفداء (ت

٧٣٢هـ/١٣٣١م) بقوله :" والاحساء جمع حساء وهو رمل يتخلله الماء حتى اذا صار الي صلابه الارض امسكته فتحفره العرب و تستخرج منه الماء( )

فإذا رويت هذه الارض الصلبة المغطاة بالرمل في الشتاء من سيول الامطار لم ينقطع ماء أحسائها في وقت الصيف والجفاف ( ) فكانت العرب تحفر بهذا الموضع وتستخرجه اثناء مرور القوافل بها ( ) وقيل الحسوة، بالضم: الجرعة بقدر ما يحسى مرة واحدة، والجمع من كل ذلك أحساء وحساء ( )

وقد وجدت في بلاد العرب عدة مواضع سمية بالأحساء ، منها: أحساء بني سعد قرب الهجر ( ) وهي دار القرامطة بالبحرين ومن أجل مدنها ( ) وهذه هي موضوع بحثنا، ومنها ايضاً: موضع ماء لبني فزارة يقع بين الربذة ونخل ( ) ويقال لمكانها ذو حساء، وهناك موضع ماء فوق فرتاج ( ) يقال له أحساء ( ) وكذلك أحساء بنى وهب على خمسة أميال من المرتمى ( ) على طريق الحج فيه بركة تغذيه آبار عدة ( )

والاحساء كانت تتبع البحرين وكانت مدينة الهجر قصبته (مركزها) ، قبل ان تكون مدينة الاحساء مركز البحرين، وقد سميا هذا الاقليم باسم الأحساء تيمنن بمدينة الاحساء، وستمر ذلك الى نهاية العهد العثماني( )

ثانياً: ظهور القرامطة وبناء مدينة الأحساء:

يذكر الطبري(ت٣١٠هـ /٩٢٢م)، في احداث سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م):" في هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنابي ( ) بالبحرين فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة وكان خروجه فيما ذكر في اول هذه السنة وكثر أصحابه في جمادى الآخرة وقوي أمره فقتل من حوله من أهل القرى ثم صار إلى موضع يقال له القطيف ( ) فقتل من بها ، وفي شهر ربيع الأول منها غلظ أمر القرامطة بالبحرين فأغاروا على نواحي هجر" ( )

والمعلوم ان مدينة الهجر كانت قاعدة البحرين ، فخربها القرامطة عند استيلائهم على البحرين، وبنوا مدينة الاحساء ونزلوها وصارت هي قاعدة البحرين( ) وكان قد ملكها أبو سعيد القرمطي بعد حصار طويل واستباحها قتلا وإحراقا وتخريبا ثم بنى أبو طاهر القرمطي مدينة الأحساء وتوالت دولة القرامطة فيها ( )

فيذكر ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ /١٤٠٥م)، ان تأسيس مدينة الاحساء كان على يد أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد ( ) " وكان ذلك في المائة الثالثة، وكانت للقرامطة بها دولة، وجالوا منها في أقطار الشام والعراق والحجاز" ( ) فكان بذلك أول من عمرها وحصنها وجعل منها مركزاً لمدينة الهجر ( ) لذلك قيل عنها بأنها " بلاد القرامطة ( ) وبها مستقرّ آل ابى سعيد ( ) ويحدد ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) تاريخ الشروع ببنائها وجعلها مركزاً للقرامطة ودعوتهم فيذكر في احداث سنة (٣١٦هـ / ٩٢٨م) قوله :" ولما رجع أبو طاهر

القرمطي إلى بلده بنى دارا وسماها دار الهجرة، ودعا إلى المهدي، وتفاقم أمره وكثر أتباعه، وكان أصحابه يكبسون القرى فيقتلون وينهبون" ( )

ونقل بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) في حوادث سنة (٣١٦هـ / ٩٢٨م)، ان بناء مدينة الأحساء جاء بعد عودة أبو طاهر القرمطىّ من غزواته بتجاه مدن بلاد الشام فقال :" ولما رجع القرمطىّ من سفره بنى دارا وسمّاها دار الهجرة، ودعا الى المهدىّ العلوىّ، وتفاقم أمره وكثر أتباعه" ( )

بينما يذكر ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ /١٤٠٥م) ان بناء المدينة كان سنة (٣١٤هـ/٩٢٧م) حيث وقع بين أبو الطاهر القرمطي واتباعه وأهل البحرين خلاف فخرج أبو الطاهر واتباعه من الهجر وتخذ مدينة الاحساء مستقراً له فبنا المدينة وبنا فيها قصراً له سماه المؤمنية ( ) والمرجح في ذلك قول ابن الجوزي وابن تغري بردي بقولهم ان بناء مدينة الأحساء كان سنة (٣١٦هـ / ٩٢٨م)، لان أبو طاهر القرمطىّ لم يكن ليستطيع محاربة مدينة الهجر وحصارها طويلاً من غير ان يكون له مقراً ومركزاً له ولاتباعه يعمل من خلاله على نشر دعوته وقيادة حربه.

وبذلك دمر القرامطة مدينة هجر واستباحوها قتلا وإحراقا وتخريبا وافقدوها اهميتها السابقة بكونها مركز للمنطقة وجعلوا من مدينة الأحساء عوضاً عنها ( ) التي وصفت بأنها " مدينة جميلة بها كل وسائل الحياة التي في المدن الكبيرة ، لها قلعة تحيط بها أربعة أسوار قوية متعاقبة " ( ) مستدير عليها ( ) تم تشييدها من اللبن المحكم البناء ، وفي المدينة عيون ماء كبيرة تكفي لاستهلاك اهل المدينة حيث كان يتم الاستفادة من كل هذا الماء فلا يخرج منها دون فائدة ( )

ويضاف الى العيون كان تتوفر في المدينة البرك والصهاريج، فذكر ابن ناصر الدين البغدادي(ت١١٧٤هـ/ ١٧٠٥م) : " وعند الأحساء سهل من الأرض يجتمع فيه ماء المطر كلما نزحت دلوا جمعت أخرى، ونوه بسعة بركة الماء وإنها تزيد على ثلاثين ذراعا في ثلاثين، وعمقها نحو خمسة عشر ذراعا يجتمع فيها ماء المطر، وله مسيلات ينحدر فيها" ( )

وقد قيل عن مدينة الأحساء انها مدينة عصية على كل طامع ومن يروم اقتحامها وحربها بسبب شدة تلك التحصينات ومتانة الاسوار و سهلة الدفاع عنها وقت الحرب ومواجهة العدو، مع وفرة الماء فيها، لذا فشلت كل المحاولات التي كانت تروم اقتحام المدينة وتحاول الاستيلاء عليها فيذكر ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م) :" وشن عليها غارات كثيرة ولكنه لم ينل من أهلها شيئا " ( ) وما ذلك الا بسبب حصانة المدينة ومتانة اسوارها وشجاعة مقاتليها ووفرة الماء بها مع وجود كميات من الغذاء تكفي لمدة الحصار ،وكذلك اذا ما عرفنا ان محاصرة هكذا نوع من المدن الصحراوية تواجهها مشاكل كثيرة ،اولا ذلك الحر الشديد والمناخ الصحراوي وقلة الماء والميرة مما يجعل من مدة الحصار ليست بالمدة الكبيرة التي تسمح استمرار الحصار عليها وتحقيق الفتح لها لذا كانت المدينة بعيدة عن تلك المحاولات من قبل السلطة

لتطرفها مناخياً وجغرافياً.

وقد اورد المؤرخين والجغرافيون وصفاً للمدينة فوصفها ياقوت الحموي(ت ٦٢٦هـ /١٢٢٩م) بقوله :" مدينة مشهورة عامرة على طريق الحاج، فيه بركة وتسع آبار كبار وصغار" ( ) وقال عنها الادريسي(ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م): " مدينة حسنة لكنها صغيرة وبها أسواق " ( )

ثالثاً : المسالك والطرق المؤدية الى مدينة الأحساء:

الأحساء واحدة من المدن الصحراوية التي يتطلب الوصول اليها المشقة والعناء ، لان قاصدها كان عليه ان يقطع طريق موحش صعب بسبب قلة الماء بل وندرته وارتفاع درجات الحرارة، فوصف مناخها من قبل المؤرخين والجغرافيون بالشدة الحر وكثرة الكثبان الرملية بها فوصفها المقدسي(ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) بأنها " معدن الحرّ والقحط "( ) وذكرها ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) بكونها " مفرطة الحر منهالة الكثبان يغلب الرمل عليهم في منازلهم "( ) واشار ابو الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) الى مناخها وصعوبته بقوله :" والاحساء في البريه حارة شديده الحراره" ( )

ووصفها القلقشندي (ت ٨٢١هـ /١٤١٨م): " بكونها حارة شديدة الحرارة" ( ) وقد وصف الرحالة ناصر خسرو صعوبة طريقها ومشقته بسبب ذلك المناخ فقال :" الحسا مدينة في الصحراء ولبلوغها عن أي طريق ينبغي اجتياز صحراء واسعة والبصرة أقرب البلاد الإسلامية التي بها سلطنة إلى الحسا وبينهما خمسون ومائة فرسخ ولم يقصد سلطان من البصرة الحسا أبدا" ( ) وهذا ما يدل على صعوبة بلوغها من قبل السلطة والجيش ايضا.

اما المسالك والطرق التي كانت تصل مدينة الاحساء وتربطها ببقية المدن المحيطة بها ، سوء تلك التي تنطلق منها او التي تؤدي اليها باعتبارها محطة للقوافل المارة بها من قوافل الحج او التجارة، فقيل ان المسافر اذا سار من الاحساء إلى الشمال بمقدار سبعة فراسخ( ) يبلغ القطيف( )

اما عن موقعها من البحر فأنها تقع الى الشرق من البحر على مسيرة تقدر سبعة فراسخ ، فإذا اجتاز هذه المسافة المسافر وجد البحرين، وإذا سار المسافر جنوب الاحساء يبلغ عمان، ومن الاحساء الى اليمامة أربعون فرسخا ولا يتيسر الذهاب اليها إلا في فصل الشتاء حين تتجمع مياه المطر فيشرب الناس منها ولا يكون ذلك في الصيف ( ) لانعدام الماء وشدة الحر.

وقد وصف الرحالة ناصر خسرو رحلته والطرق التي سلكها للوصول الى الاحساء سنة (٤٤٢ هـ/١٠٥٠م) بعد اتمام حجه فقال: " بعد اتمام الحج استأجرت جملا من أعرابي لأذهب إلى الحسا وقيل إنهم يبلغونها من مكة في ثلاثة عشر يوما وقد ودعت بيت الله يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة سنة (٤٤٢ هـ/١٠٥٠م) ،بلغنا الطائف يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي الحجة ومن مكة إلى هناك اثنا عشر فرسخا ، سرنا من الطائف واجتزنا جبالا وأراضي صخرية، ومن هناك بلغنا قلعة تسمى مطار، وبينها وبين

الطائف اثنا عشر فرسخا ثم بلغنا ناحية تسمى الثريا ، ومن الطائف إلى هناك خمسة وعشرون فرسخا، وبعد معاناة مشاق ومتاعب كثيرة بلغنا فلج في الثالث والعشرين من صفر (٤٣٣هـ /١٠٥١)، ومن فلج الى مكة ، ثمانون ومائة فرسخ ، وقد لبثت بفلج هذه أربعة أشهر في حالة ليس أصعب منها ( ) لم يكن معي من شؤون الدنيا سوى سلتين من الكتب والناس جياع وعراة وجهلاء ، إذ كان ينبغي للخروج منها عن أي طريق اجتياز مائتي فرسخ من الصحراء كلها مخاوف ومهالك ، ولم أر في الأشهر الأربعة التي أقمتها بفلج خمسة أمنان من القمح في أي مكان وأخيرا أتت قافلة من اليمامة لأخذ الأديم ( ) وحمله إلى الاحساء فإنه يحضر من اليمن إلى فلج حيث يباع للتجار( ) وسرت أنا راجلا وتوجهنا في اتجاه مطلع بنات النعش (الدب الأكبر) كان الطريق مستويا لا جبال فيه ولا مرتفعات وكان ماء المطر متجمعا حيثما كانت الأرض أشد صلابة ومضت ليال وأيام ولم يبد في أي جهة أثر الطريق إلا أنهم كانوا يسيرون بالغريزة (بالسمع) ومن العجيب أنهم كانوا يبلغون فجأة بئر ماء مع عدم وجود أي علامة ( )

فأما الطريق الواصل من مصر الى مكة فأنه لابد ان يمر بالأحساء ومنها الى ينبع( ) ومنها الى المدينة المنورة ( ) وكذلك الطريق المار من البصرة بتجاه البحرين كان لابد له من المرور بمدينة الأحساء وقد وصفه الادريسي (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) فيقول: " والطريق من البصرة إلى البحرين لا ماء فيها ولا عامر بها ، وهذه المراحل( ) كلها مواضع لا ماء فيها قد عمرها الرحالة من العرب الذين لا يستقرون في مكان واحد( )

وقد أشار الفاسي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م) ان قافلة الحج العراقي اتخذه هذا الطريق وذلك سنة (٨١٣هـ/١٤١٢م) فذكر أنه في سنة ثلاث عشر وثمانمائة حج من العراق جماعة على هذا الطريق ( )

رابعاً : الحياة الاجتماعية في مدينة الأحساء:

تميزت الحياة الاجتماعية في مدينة الأحساء بطابع البساطة وشيوع روح التعاون بين افرادها وربما مرجع ذلك يعود الى طبيعة المناخ الصحراوي الذي حتم عليهم العمل بروح الفريق الواحد لتلبية متطلبات حاجاتهم المختلفة، ومضاف اليها طابع القبلية والبداوة على سكانها الذي يسوده التكاتف والمساعدة ما بين ابناءها ، وعزز ذلك التسامح والاهتمام الذي ابدته السلطة الحاكمة في تعزيز جوانب الترابط المجتمعي وتحقيق التكافل بينهم.

وقد وصف لنا الرحالة ناصر خسرو ما كان عليه المجتمع من علاقات مترابطة وخاصة انه عاش في وسطهم ما يقرب التسعة اشهر فقال :" وإذا افتقر إنسان أو استدان يتعهدونه حتى يتيسر عمله وإذا كان لأحدهم دين على آخر لا يطالبه بأكثر من رأس المال الذي له وكل غريب ينزل في هذه المدينة وله صناعة يعطى ما يكفيه من المال حتى يشتري ما يلزم صناعته من عدد وآلات ويرد (إلى الحكام) ما أخذ حين يشاء وإذا تخرب بيت أو طاحون أحد الملاك ولم تكن لديه القدرة على الإصلاح أمروا جماعة من عبيدهم بأن

يذهبوا اليه ويصلحوا المنزل أو الطاحون ولا يطلبون من المالك شيئا وفي الحسا مطاحن مملوكة للسلطان تطحن الحبوب للرعية مجانا ويدفع فيها السلطان نفقات إصلاحها وأجور الطحانين "( )

اما عن التركيبة السكانية التي كانت في مدينة الاحساء وما بها من عناصر مختلف فيمكن اجمالها على النحو التالي:

سكن مدينة الاحساء أخلاط من قبائل بنى تغلب وبنى عقيل وبنى سليم ( ) وبنى سعد بن تميم ( ) وكانت السيادة فيها لبني تغلب ثم تحولت الى بني عقيل بعد عودتهم من العراق والشام، ويذكر القلقشندي: "وبقيت بأيديهم (اي بني تغلب) حتى غلبهم عليها ملوك بني سلجوق فتحولوا عنها إلى البحرين حيث كانوا أولا فوجدوا بني تغلب قد ضعف أمرهم فغلبوهم على البحرين وصار الأمر بالبحرين لبني عقيل "( ) قال ابن سعيد: " سألت أهل البحرين في سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م) ، حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين، فقالوا: المُلك فيها لبني عُقيل، وبنو تغلب من جملة رعاياهم، وبنو عُصفور من بني عقيل هم أصحاب الأحساء دار ملكهم". ( )

خامساً: المعتقدات الدينية في مدينة الاحساء:

يذكر الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) في احداث سنة (٢٧٨هـ /٨٩١م) امر بداية ظهور القرامطة فقال:" وفيها وردت الأخبار بحركة قوم يعرفون بالقرامطة بسواد الكوفة فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة ، يظهر الزهد والتقشف ويأكل من كسبه ويكثر الصلاة فأقام على ذلك مدة فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدين وزهده في الدنيا وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة حتى فشا ذلك عنه بموضعه ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول(ﷺ) ، فلم يزل على ذلك حتى تعلقت قلوب الناس به ( )

وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دعوته دينارا ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام فمكث بذلك يدعو أهل القرى فيجيبونه واتخذ منهم اثني عشر نقيبا أمرهم أن يدعو الناس إلى دعوتهم وقال لهم أنتم كحواريي عيسى بن مريم ، والقبلة إلى بيت المقدس والحج إلى بيت المقدس ويوم الجمعة ويوم الاثنين لا يعمل فيه شيء وإن الأهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام وباطنها أوليائي الذي عرفوا عبادي سبيلي اتقون يا أولي الألباب، ومن شرائعه أن الصوم يومان في السنة وهما المهرجان والنوروز وأن النبيذ حرام والخمر حلال ولا غسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة وأن من حاربه وجب قتله ومن لم يحاربه ممن خالفه أخذت منه الجزية ولا يؤكل كل ذي ناب ولا كل ذي مخلب ( )

وقد ذكر الرحالة ناصر خسرو الذي اقام عندهم ما كانوا عليه من معتقد فقال: " فلا دين لهم ومنهم أناس لم يمس الماء أيديهم مدة سنة أقول هذا عن بصيرة لا شيء فيه من الأراجيف فقد عشت في وسطهم تسعة شهور دفعة واحدة لا فرقة بينها ولم أكن أستطيع أن أشرب اللبن الذي كانوا يقدمونه إلي كلما

طلبت ماء لأشرب فحين أرفضه وأطلب الماء يقولون اطلبه حيثما تراه ولكن عند من تراه وهم لم يروا الحمامات أو الماء الجاري في حياتهم" ( ) وذكر ايضاً:" وليس في مدينة الحسا مسجد جمعة ولا تقام بها صلاة أو خطبة إلا أن رجلا فارسيا اسمه علي بن أحمد بنى مسجدا وهو مسلم حاج غني كان يتعهد الحجاج الذين يبلغون الحسا"( ) وقال : " إن سلطانهم ردهم عن الإسلام وقال إني أعفيتكم من الصلاة والصوم ودعاهم إلى أن مرجعهم لا يكون إلا إليه وأسمه أبو سعيد وحين يسألون عن مذهبهم يقولون إنا أبو سعيديون وهم لا يصلون ولا يصومون ولكنهم يقرون بمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وبرسالته ، واذا صلى أحد فإنه لا يمنع ولكنهم أنفسهم لا يصلون وقد قال لهم أبو سعيد إني أرجع اليكم يعني بعد الوفاة وقبره داخل المدينة وقد بنوا عنده قبرا جميلا وقد أوصى أبناءه قائلا (يرعى الملك ويحافظ عليه ستة من أبنائي يحكمون الناس بالعدل وللقسطاس ولا يختلفون فيما بينهم حتى أعود) ولهؤلاء الحكام الآن قصر منيف هو دار ملكهم وبه تخت يجلسون هم الستة عليه ويصدرون أوامرهم بالاتفاق وكذلك يحكمون ولهم ستة وزراء على تخت آخر ويتداولون في كل أمر، وهؤلاء السلاطين الستة يسمون السادات ويسمى وزراؤهم الشائرة) ( )

وعرف عن حكامهم انهم كانوا يجيبون من يحدثهم من الرعية برقة وكان على باب قبر أبي سعيد حصان مهيأ بعناية عليه طوق ولجام يقف بالنوبة ليلا ونهارا يعنون بذلك أن أبا سعيد يركبه حين يرجع إلى الدنيا ويقال إنه قال لأبنائه حين أعود ولا تعرفونني اضربوا رقبتي بسيفي فإذا كنت أنا حييت في الحال وقد وضعت هذه الدلالة حتى لا يدعي أحد أنه أبو سعيد"( )

اما عن تسمية القرامطة بهذا الاسم، فقد جاءت من تسمية الرجل الذي نزل عنده صاحب الدعوة ومؤسسها صاحب الأثوار كرميتة ثم خفف فقالوا قرمط ( )

وقيل سموا القرامطة لأنهم نسبوا إلى قرمط بن الأشعث لأنه كان يقرمط خطه أو مشيه على ما ورد، أي يقارب خطوه، وفيه يقول أبو العلاء المعري :

يرتجي القوم أن يقوم إمام ... ناطق في الكتيبة الخرساء

كذب القوم لا إمام سوى العقل ... مشيراً في صبحه والمساء

كالذي قام يجمع الزنج بالبصرة ... والقرمطي بالأحساء( )

وقد كانت لهؤلاء القرامطة حروب وجولات عدة في سبيل نشر دعوتهم بالترغيب والترهيب ومن ذلك انهم استباحوا مكة المكرمة واستولوا عليها وقتلوا من كان يطوف بالكعبة وانتزعوا الحجر الأسود من مكانه ونقلوه إلى مقر دعوتهم في الاحساء ولبث عندهم سنين عديدة حتى اشتري منهم الحجر الأسود وأعيد إلى مكانه ( )

سادساً: الحياة الاقتصادية في مدينة الأحساء:

اتسمت الحياة الاقتصادية في مدينة الأحساء بالازدهار بالرغم من موقعها الذي عرف عنه البعد والتطرف وصعوبة الوصول اليها ومناخها الذي تميز بدرجات حرارة مرتفعة، مع قلة في مصادر الماء فيها واحاطتها بكثبان الرملية بسبب مجاورتها للصحراء العربية وتأثرها بها، ورغم ذلك عرفت المدينة بنشاط الحياة الاقتصادية فيها وان كانت تلك الانشطة في حقيقة الامر لا يمكن مقارنتها مع مدن كبرى غيرها وجدت في الجزيرة العربية كمكة المكرمة او المدينة المنورة ومدن اليمن، واهم ما وجد في مدينة الأحساء من نشاط اقتصادي كان مزاولة حرفة الزراعة لبعض المحاصيل وكذلك بعض الانشطة الصناعية والتجارية.

ففي المجال الزراعي اعتمده المدينة على العبيد في زراعة بعض المحاصيل فيذكر ناصر خسرو : وكان لهم في ذلك الوقت عبيد من زنوج الحبشة يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين وهم لا يأخذون عشورا من الرعية ( ) وكانت مدينة كثيرة النخيل ( )

يذكر ابو الفداء وصفاً لكثرة النخيل فيها بقوله: "وهي بلده ذات نخيل كثير ومياه جارية ، ونخيلها بقدر نخيل غوطه دمشق مستديره عليها" ( ) ولكثرة التمر فيها انهم يستخدمونه كأعلاف للحيوانات، فيذكر ناصر خسرو:" حتى أنهم يسمنون به المواشي ويأتي وقت يباع فيه أكثر من ألف من بدينار واحد" ( )

اما اسواقها رغم ما وصف من كونها صغيرة الا كانت مزدهرة تنشط بها مظاهر البيع والشراء ( ) حيث يتم البيع والشراء وكانت واسطتهم في ذلك استخدام معدن الرصاص بدلاً من النقود حيث يتم وضعه في زنابيل ويتم وزنه ويقدرونه كل زنبيل منه ست آلاف درهم فيدفعون الثمن المادة التي يتم شراءها بعدد من الزنابيل وهذه العملة لا لم تكن تعرف الا عندهم ، وعرف من صناعتهم صناعة المنسوجات فقد اشتهرت المدينة بنسج الفوطا جميلة التي كانت يصدرونها للبصرة وغيرها( )

وفي اسواقهم كان يباع مختلف انواع لحوم الحيوانات فوجد فيها لحوم القطط والكلاب والحمير والبقر والخراف وغيرها وكان يتم وضع رأس الحيوان وجلده بقرب لحمه ليعرف المشتري ماذا يشتري، فيذكر ناصر خسرو انهم كانوا :" يسمنون الكلاب هناك كما تعلف الخراف حتى لا تستطيع الحركة من سمنها ثم يذبحونها ويبيعون لحمها" ( ) وربما يعود سبب ذلك الى قلة ما وجد من الماشية عندهم لصعوبة المناخ فيها وقلة المراعي التي تحتاجها الماشية للرعي فيها.

ويكثر بها الابل لذا قل عنها ابن خلدون بأنها " مراعي الإبل" ( ) وتربية الابل هو ما يناسب مناخ مدينة الاحساء الصحراوي المعروف شدة الحرارة فيها وقلة الامطار، وما عرف عن الجمال من مقدرة على تحمل تلك الظروف وكونها واسطة النقل الوحيدة في تلك الصحراء.

كما شاع فيها اللؤلؤ الذي كان يجلب من بحر البحرين حيث كان يتم استخراجه و لحكام الأحساء النصف مما يستخرجه الغواصون منه ( ) وكانت تصل الأحساء القوافل من اليمامة محملة بالأديم لينقل الى بلاد اليمن حيث تبيعه التجار( ) كما كان اهل الاحساء يستبدلون التمر الذي عرف بكثرته في المدينة

بالقمح ، يذكر ابو الفداء، " ان اهل الأحساء كانوا ويشترون بكل راحلتين من التمر راحلة من الحنطة" ( )

وكان بها المطاحن المملوكة للسلطان، حيث تطحن الحبوب للرعية مجانا ويدفع فيها السلطان نفقات إصلاحها وأجور الطحانين ( ) وكان القرامطة يجلبون الحديد من الرقة فيذكر الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) في سنة (٣٥٣هـ /٩٦٤م) ، فاشترى شيئا كثيرا من الحديد من الرقة، وحمل إليهم في الفرات، ثم في البرية إلى هجر ( )

وقد تعرضت مدينة الاحساء بسبب موقعها المحاذي للصحراء الى العديد من الازمات الاقتصادية والتي كانت لها اثرها البالغ على السكان ، وكان اكثرها يحدث بسبب الجفاف لقلت سقوط الامطار فتعدم الارزاق ويشاع بسببها الفقر، ففي سنة (٤٢٣هـ/١٠٣١م) يذكر ابن الجوزي، " ووردت الأخبار عن الأحساء وتلك البلاد أن الأقوات عدمت، فاضطر أهل بادية إلى أكل مواشيهم ، وفارق أهل البوادي منازلهم"( ) وفي أواخر (٧١٨هـ/١٣١٨م) ، كانت برية الاحساء وغيرها من المناطق مجدبة لقلة الأمطار، فهلك من الناس والحيوانات الكثير( )

الخاتمة

شكلت المصادر التاريخية والجغرافية والرحلات مصدراً مهماً من المصادر البحث التاريخي ساعدت الباحثين التعريف بالمدن الصحراوية فكانت المعلومات الواردة فيها قيمة ، بينت احول تلك البلاد وظروف الحياة .

اهمية موقع مدينة الاحساء لاسيما خلال مواسم الحج وكطريق رابط بين المدن المختلفة من خلال استغلال موقعها الجغرافي وجعله نقطة جذب بدلاً من كونه عامل طرد بحكم البيئة القاسية التي عرفت عنها لمجاورتها الصحراء.

اعطت صورة واضحة عن طبيعة تكوين تلك المدن واساليب الحياة فيها ومعتقداتهم ، وأهميتها التاريخية وكونها تعد مراكز ومحطات تتوقف عندها قوافل التجارة والحج وكونها مركزاً من مراكز تموينها.

*تميزت الحياة الاجتماعية في مدينة الاحساء بطابع البساطة والتسامح والاهتمام وشيوع روح التعاون بين افرادها ،الذي يسوده التكاتف والمساعدة ما بين ابناءها ، في تعزيز جوانب الترابط المجتمعي وتحقيق التكافل بينهم.

اتسمت الحياة الاقتصادية في مدينة الأحساء بالازدهار بالرغم موقعها القريب من الصحراء حيث كان لموقعها على طرق القوافل سبباً في كونها محط تلك القوافل المختلفة.

قائمة المراجع

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م). المختصر في أخبار البشر. القاهرة: المطبعة الحسينية، ط١.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م). تقويم البلدان. باريس: دار الطباعة السلطانية، ص٩٩.

الأدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. بيروت: عالم الكتب، ط١.

الأديم، ابن منظور، محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ/١٣١١م). لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط١.

الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ/٩٣٣م). جمهرة اللغة. بيروت: دار العلم للملايين، ط١.

البغدادي، ابن ناصر الدين، أبو البركات عبد الله بن حسين بن مرعي (ت١١٧٤هـ/١٧٦٠م). النفحة المسكية في الرحلة المكية. أبوظبي: المجمع الثقافي، ط١.

البغدادي، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م). مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. بيروت: دار الجيل، ط١.

البغدادي، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. بيروت: دار الجيل، ط١.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. بيروت: عالم الكتب، ط٣.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م). معجم البلدان. بيروت: دار صادر، ط٢.

الحربي، عاتق بن غيث بن زوير. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع، ط١.

الحِميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م). الروض المعطار في خبر الأقطار. بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢.

الزبيدي، محيي الدين بن أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م). تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دار صادر.

القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م). قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط٢.

القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله. صبح الأعشى. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط٢.

الفاسي، تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

الفرسخ، محمد حلاق. الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية. صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، ط١.

المقدسي، محمد بن أحمد المقدسي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

المكي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك الشافعي (ت ١١١١هـ /١١٩٩م). سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي. بيروت: دار الكتب العلمية.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م). صبح الأعشى في صناعة الإنشا. دمشق: دار الفكر، ط١.

النويري، شهاب الدين أحمد عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م). نهاية الأرب في فنون الأدب. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م). تاريخ ابن خلدون: المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢.

ابن منظور، محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ/١٣١١م). لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط١.

ابن ناصر الدين البغدادي، أبو البركات عبد الله بن حسين بن مرعي بن ناصر الدين البغدادي (ت١١٧٤هـ/١٧٦٠م). النفحة المسكية في الرحلة المكية. أبوظبي: المجمع الثقافي، ط١.

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م). رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار). الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ /١٤٦٩م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت نحو٢٨٠هـ/٨٩٣م). المسالك والممالك. بيروت: دار صادر.

ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م). البلدان. ليدن: مطبعة بريل.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القريشي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م). البداية والنهاية. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت٣١٠هـ/٩٢٢م). تاريخ الرسل والملوك. القاهرة: دار المعارف، ط٣.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ /١٣٤٧م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. بيروت: دار الكتاب العربي، ط١.

الزهراوي، ... (إذا رغبت يمكنني إكمال بقية المراجع بنفس الأسلوب، لكنها طويلة جدًا، وللتأكيد سأقسمها على جزأين لاحقًا(